الأسباب المعينة

على الصبر على أذى الخلق

لشيخ الإسلام ابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ)

تعليق فضيلة الشيخ

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

إصدار مكتب الشؤون الفنية

١٤٣٧هـ - ٢٠١٥

الطبعة الأولى
١٤٣٧ هـ / ٢٠١٥م

إصدار مكتب الشؤون الفنية
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
دولة الكويت

مطبعة النظائر
هاتف: ٢٤٧٤٤٧٤٠ - فاكس: ٢٤٧١٦٩٩٣
www.nazaer.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربِّ العالمين، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وَحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبده ورسُوله، صَلَّىٰ الله وسلَّم عليه وعلىٰ آله وأصحابه أجمَعين.

اللهم آتِ نفوسَنَا تقواها، وزكِّها أنت خير من زَكَّاها، أنت وليُّهَا ومولاها.

اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عنَّا سيئها لا يصرف عنَّا سيئها إلا أنت.

أما بعدُ:

فإنَّ الصَّبر مَنزلةٌ عظيمة من مَنَازل الدِّين، ومَقَام رفيع من مقامَاته، وقد ذكره الله ﷻ في مواطنَ كثيرةٍ في كتابه -جل وعلا-، بل قال الإمام أحمد -رحمه الله تعالىٰ-: «ذكر اللهُ

الصبرَ في القرآن الكريم في أكثر من تِسعينَ مَوضِعًا»[١].

وهذا يدُلُّنا دلالةً بينة علىٰ عظم شأن الصبر ورفيع مكانته، وحاجة العبد الشَّديدةِ إليه في باب الطاعَات ليَفعَلها، وفي باب المَنهيَّات ليترُكَهَا، وفي باب المصَائب المقدَّرة لئلَّا يجزَعَ ويتسَخَّط.

فالعبدُ مُحتَاجٌ إلىٰ الصبر، والصبرُ مُصَاحب للمسلم في كل أحواله، فلا فعل لطاعةٍ إلا بالصبر، ولا ترك لمَعصيةٍ إلا بالصبر، ولا تَلقيَ للمقدَّر المَقضِيِّ بما يُرضي الله ﷻ ولا يسخطه إلا بالصبر؛ فما أحوج المُسلمَ، بل ما أشد حاجته إلىٰ أن يكون مُتحَليًا بالصبر في كل أحوَالِهِ!

وذِكرُ الله -جل وعلا- للصَّبر في القرآن في مَوَاضع كثيرة منه جاء علىٰ أنحَاء متنوعة؛ فجاء الأمر به، وجاء النهي عن

---

(١) انظر: «مدارج السالكين» لابن القيم (١/ ١٣٠)، ط: دار الكتاب العربي- بيروت.

ضده، وجاء الثناءُ علىٰ أهله ومَدحهم، وجاء ذكر ما أعدَّ الله ﷻ لهم من جزيل الثواب وجميل المَآب، وجاءت البشارة المُطلقَة للصابرين، وأخبر ﷻ أنه يُحبهم، وأنه معهم تأييدًا ونصرًا وحفظًا، إلىٰ غير ذلكم من الأنحاء لمَجيء الصَّبر في كتاب الله ﷻ.

وهذا كله يَدُلنَا علىٰ عظيم مكانَة الصبر، وعَلِيِّ منزلته، ومَسيس الحاجَة إليه.

والحديثُ عن الصبر حديثٌ واسع، ويتناولُ أطرافًا كثيرة، وجوانبَ مُتعَددة، وسيقتصر حَديثُنا عن الصَّبر في باب مُعين من أبوابه، ومَجَال مُعَيَّن من مَجَالاته؛ ألا وهو: «**الصبر علىٰ أَذَىٰ الخَلق**».

ومن المعلوم أن الإنسان في هذه الحيَاة لا يَسلَم من أذىٰ الخلق؛ لأن الناس أجناسٌ، ومُتفَاوتون في أخلاقهم ومعَادنهم وطبائعهم وتَعَامُلاتهم، والمسلم ينبغي أن يكون مُتَحلِّيًا بالصبر.

ومن الصَّبر الذي ينبغي للمسلم أن يكون مُتَحلِّيًا به: الصبر علىٰ أذىٰ الخَلق، وهو باب تتقَاصَرُ كثير من الهِمَم والنفوس علىٰ الإتيَان به، ولهذا كان كلامُ أهل العلم في بيان ما يُعين المَرء علىٰ الصبر علىٰ أذىٰ الخلق يُعَدُّ نبراسًا وضياءً للمسلم في هذا الباب.

وهذا الموضوعُ الذي سنتناوله بالتعليق عليه هو كلامٌ مُقتَطَع من رسالةٍ لشَيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالىٰ- يتحدث فيها عن الصَّبر، ويتناولُ بتَفصيل جميل مفيد للغاية ذِكر الأمور المعينة علىٰ الصَّبر علىٰ أذىٰ الخلق، وذَكَر تفصيلاتٍ فيها لا تكاد تجدها في موضع آخر؛ فرحمه الله من إمام، وما أجمل نُصحَه وأحسن بيانه!، وجزاه علىٰ ما بذل وقدَّم الجزاء الأوفىٰ، وأسكَنَه فردوسَه الأعلىٰ؛ إنه -تبارك وتعالىٰ- سميعٌ قريبٌ مجيب.

وأسأل الله الكريم الَّذي يَسَّر لنا هذا التعليقَ علىٰ كلام

شَيخ الإسلام ابن تيميَّة -رحمه الله تعالىٰ- في ذكر ما يُعين علىٰ الصبر علىٰ أذىٰ الخَلق أن يجعل ذلك مَعُونةً لنا أجمعين علىٰ هذا الصَّبر، وأن يجعلنا من عبَاده الصابرين الشاكرين؛ لأن الدِّين نصفَان: صبر وشكر، لهذا قيل: «الصبرُ نصفُ الدِّين».

ونسأل الله الكريم أن ينفعنا بما علَّمنا، وأن يزيدَنا علمًا، وأن يجعل ما نتعَلَّمه حُجَّة لنا لا علينا؛ إنه -تبارك وتعالىٰ- سميعٌ قريب مُجيب.(١)

❊ ❊ ❊

(١) أصل هذه الرسالة درس ألقي في مسجد بتلة الخرينج بمنطقة العرضية بدولة الكويت بتاريخ ٢٨/ ٦/ ١٤٣٦ بتنسيق مكتب الشؤون الفنية بقطاع المساجد بوزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية.

قال شيخُ الإسلام ابن تيميَّة -رحمه الله تعالىٰ-:

(ويُعِينُ العبدَ علىٰ هذا الصبر عدَّةُ أشياءَ:

* أحدها: أن يشهدَ أن الله ﷻ خالقُ أفعالِ العباد؛ حركاتِهم وسَكَناتِهم وإراداتِهم، فما شاءَ الله كان وما لم يشأ لم يكن، فلا يتحرك في العالم العُلوِيِّ والسُّفليِّ ذرَّة إلَّا بإذنه ومشيئتِه، فالعباد آلة، فانظر إلىٰ الذي سَلَّطَهم عليك ولا تَنظُرُ إلىٰ فِعلِهم بكَ، تَستَرِح من الهمِّ والغَمِّ).

التعليق

هذا أولُ أمرٍ بدَأ به -رحمه الله تعالىٰ- في ذكر الأمور المُعينَة علىٰ الصَّبر: أن تشهد أيها العبد في هذا المقام خلقَ أفعال العباد، وأنَّ أفعال العباد مَخلُوقة، ولا يشاء العبد شيئًا من الأفعال إلا ما شاءه الله: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير:٢٩].

فإذا تذكرتَ أنه لا يكون من العباد حَرَكة ولا سكون ولا أي أمر آخر إلا بتقدير الله وقضائه ﷻ، وأنَّ كل فعلٍ من أفعالهم أو حَركة من حركاتهم قد قدَّر الله ﷻ ذلك؛ فانظر إلىٰ هذا الأمر من هذه الناحية، وأن هؤلاء الذين سلَّطهم الله ﷻ علىٰ العبد بهذا الأذىٰ ما مُوجبه؟، وما سببُه من أفعال العَبد؟

فتنظر إلىٰ أن هؤلاء أفعَالهم إنما كانت منهم بتقدير الله، وأن أفعال العباد كلها مَخلُوقة لله ﷻ؛ فيكون نظرُك إلىٰ هذه الناحية، تنظر إلىٰ الذي سَلَّطهم عليك ولا تنظر إلىٰ أفعالهم، فإذا نظرت إلىٰ الذي سلطهم عليك بدَأتَ تنظُر في الأسباب التي وقعت منك فأوجبت هذا التَّسليط، وهو ما بيَّنه -رحمه الله تعالىٰ- في الذي بَعدَه.

❋ ❋ ❋

قال شيخُ الإسلام ابن تيميَّة -رحمه الله تعالىٰ-:

(* الثاني -ممَّا يُعين العبدَ علىٰ هذا الصبر-: أن يَشهَد ذُنُوبَه، وأنَّ الله إنما سلَّطهم عليه بذَنبه، كما قال تعَالىٰ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾ [الشورىٰ: ٣٠].

فإذا شهد العبدُ أن جميعَ ما ينالُه من المكروه فسببُه ذنوبُه؛ اشتغلَ بالتوبة والاستغفار من الذنوب التي سلَّطهم عليه بسببها عن ذَمِّهم ولَومِهم والوقيعةِ فيهم.

وإذا رأيتَ العبدَ يقع في الناس إذا آذَوه ولا يَرجع إلىٰ نفسِه باللوم والاستغفار؛ فاعلم أن مصيبتَه مصيبةٌ حقيقية.

وإذا تاب واستغفر وقال: «هذا بذُنُوبي»؛ صَارت في حقِّهِ نعمةً.

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه كلمةً من جَوَاهرِ الكلام: لا يَرجُوَنَّ عبدٌ إلَّا ربَّه، ولا يَخافَنَّ عبدٌ إلَّا ذنبَه.

».

ورُوِي عنه وعن غيرِه: ما نزلَ بلاءٌ إلَّا بذَنبٍ، ولا رُفِع إلَّا بتوبة).

التعليق

هذا الأمر الثاني من الأمور المُعينة علىٰ الصَّبر علىٰ أذىٰ الخلق، وهو مبنيٌّ علىٰ الذي قبله؛ فإذا تأملَ العبدُ بأن أفعال العباد مخلوقة، ونظر في هذا المَقَام إلىٰ من سلَّط العباد عليه بهذا الأذىٰ يرجعُ باللائمة والعَتب علىٰ نَفسه، ويقول: إنما سَلَّط الله عليَّ هؤلاء بهذا الأذىٰ بسَبب ذنوبي وتفريطي وتقصيري، فبدَل أن يشتغل بسبِّهم والوقيعة فيهم ولَومهم، يشتغلُ بعيب نفسه، وأن ثمَّة ذنوبًا عنده أوجبت تسليطَ هؤلاء عليهم؛ فيُكثر من الاستغفار والتوبة إلىٰ الله ﷻ من هذه الذنوب التي يَعلَمُها العبد أو يَجهَلُها فيتوب إلىٰ الله ويكثر من الاستغفَار.

وهو بهذه الطريقة يتحقق فيه هذا الكلام الثَّمين الذي نقَلَه

شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالىٰ- عن عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه حيث قالَ -رضي الله عنه وأرضاه-: «لا يَرجُوَنَّ عبدٌ إلا ربَّه، ولا يخَافَنَّ عبدٌ إلا ذَنبَه».

فلا يرجو إلا ربه في كل حاجاته ومبتغياته ومطالبه الدينية والدنيوية ، لأن الأمر كله بيد الله سبحانه وتعالىٰ.

ولا يخاف إلا ذنبه؛ لأنَّ ذنوبه هي التي تُوجِبُ هلاكَه، فما نزل بلاءٌ إلا بذنب ولا رُفِعَ إلا بتَوبةٍ.

❊ ❊ ❊

قال شيخُ الإسلام ابن تيميَّة -رحمه الله تعالىٰ-:

(* الثالث: أن يشهد العبدُ حُسنَ الثواب الذي وَعَده الله لمن عَفَا وصَبَر، كما قال تعالىٰ: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الشورىٰ:٤٠].

ولمَّا كان الناسُ عند مُقَابَلة الأذىٰ ثلاثة أقسام: ظالمٌ يأخذ فوق حقِّه، ومقتصدٌ يأخذ بقدرِ حقِّه، ومحسنٌ يعفو ويترك حقَّه، ذَكَر الأقسامَ الثلاثة في هذه الآية، فأولهَا للمُقتَصدين، ووسطها للسَّابقين، وآخرُها للظَّالمين.

ويشهد نداءَ المنادي يوم القيامة: «ألاَ لِيَقُم مَن وَجَب أجرُه علىٰ الله»، فلا يَقُم إلَّا من عَفَا وأصلح، وإذا شهِدَ مع ذلك فوتَ الأجر بالانتقام والاستيفاء سَهُلَ عليه الصَّبر والعفو).

التعليق

هذا الأمر الثَّالث: أن يشهَدَ العبد حُسنَ الثواب؛ أي: ما أعدَّه الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في هذا المقام -مقَام الصبر علىٰ أذىٰ الخَلق-

للصابرين علىٰ أذاهُم، وللعَافين عن الناس، وهما مَرتَبتان إحداهما أعلىٰ من الأخرىٰ؛ الأولىٰ: مَرتَبة الصبر: يصبر علىٰ أذاهم، وأعلىٰ منها: أن يعفو عَنهُم، والعَفو مقَامُه أعلىٰ: ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

فهذا مقام إحسان، ولا يَصِلُ إليه كل أحد، وإنما يصل إليه من عباد الله -تبارك وتعالىٰ- المُقَرَّبين المحسنين، والذي يعين علىٰ ذاك: شُهود الأجر والثواب؛ فيصبر علىٰ أذاهم طمعًا فيما عند الله من الثواب، أو يأتي بأمر أعلىٰ من ذلك وهو أن يعفو عنهم طلبًا لما عند الله ﷻ من الثَّواب؛ لأن الله يُحب العَافين عن الناس.

وأورَدَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذه الآيةَ الكريمَة: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الشورىٰ: ٤٠].

ذكر الله ﷻ في هذه الآية ثلاثَ مَرَاتب لأحوال الناس مع ما يُصيبهم من أذىٰ من الخَلق:

المرتبة الأولىٰ: المُجَازاة علىٰ السيئة بسيئة مثلها، ومُعَاقبة

المُعتدي بمثل ما اعتدَىٰ دون تجَاوز أو تعدٍّ؛ فهذا جائز، وهو الذي ذُكر في الآية بقوله تعالىٰ: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾.

ومثلها قوله تعَالىٰ: ﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾ [النحل:١٢٦].

المَرتبة الثانية: العفو، وهي أعلىٰ المراتب؛ ولهذا قال الله ﷻ: ﴿فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾، والعطية علىٰ قدر المعطي، والله ﷻ أحال في هذه العَطيَّة علىٰ نفسه فقال ﷻ: ﴿فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾؛ أي أنَّ أجر هؤلاء وثَوابهم عظيمٌ وجزيل عنده ﷻ.

المرتبة الثالثة: مرتبة المُعَاقَبة بأشد من المثل، والتعَدِّي والتجَاوز؛ وهذا ظُلم، وقد ذكر الله ﷻ هذه المَرتَبَة في قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

فإذن؛ الناسُ في هذا المَقام -مقَام الأذىٰ- علىٰ ثلاثة أقسَام:

١- **ظالم:** وهو من يأخذ فوق حقِّه.

٢- **ومُقتَصد**: وهو الذي يأخذ بقَدر حَقه.

٣- **ومُحسن**: يعفو ويترك حقَّه، وهو خير هذه الأقسَام.

وقد جمع الله ﷻ هذه الأقسَام في هذه الآية الكريمَة.

قال شيخ الإسلام ابن تَيميَّة: «ويشهد -أي: في باب حُسن الثواب- نداءَ المُنَادي يوم القيامة: ألَا لِيَقُم مَن وَجَب أجرُه علىٰ الله»؛ فيقوم العافُون عن الناس -كما في تتِمَّة الحديث-[1].

والحديثُ في إسنَاده كلام، لكن تُغنِي عنه الآية في الدِّلالة علىٰ المعنىٰ نفسه؛ لأن الله ﷻ قالَ: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾.

❊ ❊ ❊

---

(١) أخرجه ابن أبي حَاتم وابن مردويه والبيهقي في «شُعَب الإيمان»، عن ابن عباس وأنس رضي الله عنهما. انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٧/ ٣٥٩).

قال شيخُ الإسلام ابن تيميَّة -رحمه الله تعالىٰ-:

(* الرابع: أن يشهد أنه إذا عَفا وأحسنَ، أورثَه ذلك من سلامةِ القلب لإخوانه ونَقائِه من الغِشِّ والغِلِّ وطلبِ الانتقام وإرادةِ الشرِّ، وحصَلَ له من حلاوة العفو ما يزيد لذَّتَه ومنفعتَه عاجلًا وآجلًا علىٰ المنفعة الحاصلة له بالانتقام أضعافًا مضاعفةً، ويدخل في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٤]، فيصير محبوبًا لله، ويصير حالُه حالَ من أُخِذَ منه درهمٌ فعُوضَ عليه ألوفًا من الدنانير، فحينئذٍ يَفرحُ بما منَّ الله عليه أعظمَ فرحًا يكون).

التعليق

أي أنَّه إذا عفا وأحسَن أورثَه ذلك من سلامة القلب لإخوانه، ونقائه من الغش وطلب الانتقام وإرادة الشَّر، وحصل له من حلاوة العفو ما يزيد لذته ومَنفَعَتَهُ عاجلًا وآجلًا علىٰ المنفعة الحَاصلَة له بالانتقام.

فبعض الناس ينتقم ليَتَشَفَّىٰ ويَرتَاح، ويظن أنه بالانتقام ينال الراحة، لكن القضية بالعكس كما بيَّن -رحمه الله تعالىٰ-؛ الراحة في العفو، راحة الإنسان ولذته في هذا الباب: في العفو، ولا يزيد العفوُ العبدَ إلا عزًّا.

قد يتصورُ الإنسانُ أن العفو مَذَلَّة!؛ لكن العفو لا يزيده إلا عزًّا وراحة وفرحًا وأُنسًا؛ فيشهد هذا المقام لأنه إذا عفا يرتاح ويكون صدرُه في سلامة من الغل والحقد والحسد، يعفو ويطلب ما عند الله ويريح قلبَهُ؛ فهذا الباب مَقَام عظيم، إذا وُفِّق العبد لشهوده أعانه بإذن الله -تبارك وتعالىٰ- علىٰ الصبر علىٰ أذىٰ الخلق.

❊ ❊ ❊

قال شيخُ الإسلام ابن تيميَّة -رحمه الله تعالىٰ-:

(* الخامس: أن يعلم أنه ما انتقم أحدٌ قَطُّ لنفسه إلَّا أورثَه ذلك ذُلًّا يجده في نفسه، فإذا عَفا أعزَّه الله تعالىٰ، وهذا مما أخبر به الصادق المصدوق ﷺ حيث يقول: «ما زاد الله عبدًا بعَفوٍ إلَّا عزًّا».

فالعزُّ الحاصل له بالعفو أحب إليه وأنفع له من العزِّ الحاصل له بالانتقام، فإنَّ هذا عِزٌّ في الظاهر وهو يُورِث في الباطن ذُلًّا، والعفوُ ذُلٌّ في الباطن وهو يورث العزَّ باطنًا وظاهرًا).

التعليق

وهذا كلام عظيم جدًّا ذكره -رحمه الله تعالىٰ- تفسيرًا لهذا الحَديث: «**مَا زَادَ اللهُ عَبدًا بعَفوٍ إلَّا عِزًّا**»(١)؛ فمن الأمور التي تُعين العبد علىٰ الصبر علىٰ الأذىٰ أن يعلم أنه ما انتقم

(١) أخرجه مسلم (٢٥٨٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أحدٌ قط لنفسه إلا أورثه ذلك ذلًّا يجده في نَفسِهِ، وإذا عفا أعَزَّه الله ﷻ بما حَصَل منه من عَفو.

ومن يتأمَّل واقع الناس العملي في هذا الأمر يجد أنَّ أكثر الخلق يظن أن العزَّ إنما هو بأخذ الثأر وبالانتقام، وأن عدم الأخذ بالثأر من الذل!

كيف يفعل كذا وكذا ولا أنتقم منه؟! هذا ذُل!!

فأكثر الخلق يظن أن العز في الأخذ بالثأر والانتقام للنفس، بينَما العز الحقيقي في العفو: «**مَا زادَ الله عَبدًا بَعفوٍ إلَّا عِزًّا**».

وانظر هذا البيان الجَميل من شيخ الإسلام حيث يقول: «العِز الحَاصل له بالعَفو أحب إليه وأنفعُ له من العزِّ الحاصل له بالانتقام؛ فإن هذا عزٌّ في الظاهر -أي: الانتقَام عز في الظاهر- وهو يورث في الباطن ذلًّا، والعفو ذلٌّ في البَاطن -يُظن فيمن عفا أن هذا ذل- وهو في الحقيقة يورثُ العزَّة باطنًا وظاهرًا».

قال شيخُ الإسلام ابن تيميَّة -رحمه الله تعالىٰ-:

(* السادس -وهي من أعظَم الفَوائد-: أن يَشهدَ أن الجزاء من جنس العمل، وأنه نفسه ظالمٌ مذنب، وأنَّ من عَفا عن الناس عَفَا الله عنه، ومن غَفَر لهم غَفَر الله له.

فإذا شَهِدَ أن عَفوَه عنهم وصفحَه وإحسانَه مع إساءَتِهم إليه سببٌ لأن يجزيه الله كذلك من جنس عَمَله فيَعفو عنه ويصفح ويُحسِن إليه علىٰ ذنوبه، ويَسهُل عليه عفوُه وصبرُه، ويَكفي العاقلَ هذه الفائدةُ).

التعليق

أي: من الأمور التي تُعين العبدَ علىٰ الصَّبر علىٰ أذىٰ الخلق-: أن يشهد أن الجزاء من جنس العمَل؛ فإذا عفَوتَ عن الناس عفا الله عنك ذُنوبك وتقصيرك في حَق الله ﷻ، وجزاك الله علىٰ عَفوك عفوًا منه ﷻ، والله ﷻ يُحب العَافين عن الناس، فإذا عفوتَ عن العبَاد في أذاهم لك طلبًا ما عند الله؛ جزاك الله ﷻ من جنس عَمَلك، فعفَا ﷻ عنكَ.

قال شيخُ الإسلام ابن تيميَّة -رحمه الله تعالىٰ-:

(* السابع: أن يَعلم أنه إذا اشتَغَلَتْ نفسُه بالانتقام وطلب المقابلة؛ ضاعَ عليه زمانُه وتفرَّقَ عليه قلبُه، وفاتَه من مصالحِه ما لا يُمَكِن استدراكُهُ، ولعلَّ هذا أعظم عليه من المصيبة التي نالته من جهتهم، فإذا عفا وصَفحَ فَرغَ قلبُه وجسمُه لمصالحه التي هي أهمُّ عنده من الانتقام).

التعليق

وهذا أيضًا مَلحَظ مهمٌّ في هذا الباب أن الإنسان لو اشتغل بالانتقام، وبدأ يخطط ويُرَتِّب ويعمل علىٰ الانتقام، فهو في الحقيقة بهذا الوقت الذي أهدره وضيَّعه من عمره يكون فوَّت جُزءًا من زمانه عن أمور هي أنفع له من هذه الأمور التي اشتغَلَ بها، سَواءً من مَصَالحه الدينيَّة أو الدنيويَّة.

فلهذا ينبغي للعبد أن يُطمِئنَ نفسَه، فيقول لنفسه: بدلًا من

أن أضيع أوقاتًا وجهودًا في الأذىٰ أعفو لله ﷻ أو أصبر علىٰ هذا الأذىٰ التمَاسًا لما عند الله وأحفَظ وقتي، فالصبرُ علىٰ أذىٰ الخَلق بابٌ من أبواب حفظ الوقتِ وعدم إضَاعَتِهِ.

❊ ❊ ❊

قال شيخُ الإسلام ابن تيميَّة -رحمه الله تعالىٰ-:

(* الثامن: أن انتقامَه واستيفاءَه وانتصارَه لنفسِه وانتقامَه لها؛ فإن رسول الله ﷺ ما انتقمَ لنفسِه قَطُّ، فإذا كان هذا خيرَ خلق الله وأكرمَهم علىٰ الله لم يَنتقِم لنفسِه، مع أن أَذَاه أَذَىٰ الله، ويتعلَّقُ به حقوق الدين، ونفسه أشرف الأنفُس وأزكاها وأبرُّها وأبعدُها من كلِّ خُلُقٍ مذمومٍ، وأحقُّها بكل خُلُقٍ جميلٍ، ومع هذا فلم يكن يَنتقِم لها، فكيف يَنتقِمُ أحدنا لنفسِه التي هو أعلم بها وبما فيها من الشرور والعيوب، بل الرجل العارف لا تُساوِي نفسُه عنده أن ينتقم لها، ولا قدرَ لها عنده يُوجِبُ عليه انتصارَه لها).

التعليق

أي أن ينظر المرء في سيرة النبي -عليه الصلاة والسلام-، وقد جعله الله ﷻ قدوةً للعباد؛ كما قال الله تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب:٢١].

فإن نَفسَ النبي -عليه الصلاة والسلام- أشرفُ الأنفس وأزكاها وأطيبها وأرفعها مقامًا، وما انتقم النبيﷺ لنفسه قط، وما غَضب لنفسه -عليه الصلاة والسلام- قط إلا أن تُنتهَك حرمات الله؛ فإنه لا يقوم لغضبه شيءٌ -صلوات الله وسلامه عليه-.

فعَن عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَت: «مَا انتَقَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِنَفسِهِ فِي شَيءٍ يُؤتَىٰ إِلَيهِ حَتَّىٰ يُنتَهَكَ مِن حُرُمَاتِ اللهِ، فَيَنتَقِمَ لِلَّهِ»[١].

فلم يذكر في سيرتهﷺ انتقام للنفس أو غَضب للنفس، مع أنه -عليه الصلاة والسلام- أُوذِي في مراتٍ عديدة أذىٰ عظيمًا؛ فلم يُنقل في سيرته العطرة -صلوات الله وسلامه عليه- أنه انتقم لنَفسِهِ قط.

فإذن؛ من الأمور التي تُعينُك علىٰ الصَّبر علىٰ أذىٰ المَخلُوقين: أن تنظر في هذه السيرة العطرة سيرة نبينا الكريم -عليه الصلاة والسلام-، وأن تجاهد نفسك علىٰ حسن الائتساء به، والاقتداء بهديه -صلواتُ الله وسلامُه وبركاته عليه-.

(١) أخرجه البخاري (٦٨٥٣) واللفظ له، ومسلم (٢٣٢٧).

قال شيخُ الإسلام ابن تيميَّة -رحمه الله تعالىٰ-:

(* التاسع: إن أُوذِيَ علىٰ ما فعلَه لله أو علىٰ ما أُمِرَ به من طاعتِه ونُهِي عنه من معصيتِه: وجبَ عليه الصبرُ ولم يكن له الانتقام، فإنَّه قد أوذِي في الله فأجرُه علىٰ الله.

ولهذا لمَّا كان المجاهدون في سبيل الله ذهبت دماؤهم وأموالُهم في الله لم تكن مضمونةً، فإن الله اشترىٰ منهم أنفسهم وأموالهم، فالثمن علىٰ الله لا علىٰ الخلق، فمن طلبَ الثمنَ منهم لم يكن له علىٰ الله ثمنٌ، فإنه من كان في الله تَلَفُه كان علىٰ الله خَلَفُه.

وإن كان قد أُوذِي علىٰ مصيبة فليَرجع باللومِ علىٰ نفسِه ويكون في لَومِه لها شُغلٌ عن لَومِه لمن آذاه.

وإن كان قد أُوذِي علىٰ حظٍّ فليُوطِّن نفسَه علىٰ الصبر، فإنَّ نيلَ الحُظوظِ دونَه أمرٌ أَمَرُّ من الصَّبر، فمن لم يصبر علىٰ حرِّ الهَوَاجر والأمطارِ والثلوج ومشقةِ الأسفارِ ولصوصِ

الطريقِ، وإلَّا فلا حاجةَ له في المتاجرة.

وهذا أمر معلوم عند الناس أنَّ مَن صدَقَ في طلب شيء من الأشياء بذل من الصبر في تحصيله بقدر صدقِه في طلبِه).

التعليق

أي أنَّ أذىٰ الخَلق للعبد يَقُع علىٰ أوجه:

- **الأول**: إما أن يكون أذىٰ منهم لهُ فيما يتعلق بالدِّين، كأن يأمر بمَعروف أو ينهىٰ عن منكر، أو يدعو إلىٰ الله، أو يُعلِّم الناس الخير فيُؤذونه لأمره بالمَعروف أو لنهيه عن المُنكر أو لدَعوته إلىٰ الله؛ فهذا أوذِيَ في سَبيل الله فلا ينتقم منهم، بل يبغي ما عند الله؛ لأن هذا في سبيل الله وأذًىٰ حَصَل له في طاعة الله؛ فيَطلُب ما عند الله ﷻ؛ فيصبر علىٰ أذاهم؛ لأن هذا الأذىٰ في الله وفي طاعَة الله ﷻ؛ فيرجُو عليه ما عند الله ﷻ.

- **الثاني**: إن كان قد أُوذِي علىٰ مُصيبَة؛ فليَرجع باللوم

علىٰ نَفسه، ويكون في لَومِهِ لها شَغلٌ عن لَومِهِ لمَن آذاه.

- **الثالث**: إن كان قد أُوذي علىٰ حَظٍّ من حُظُوظ الدنيا؛ فليُوَطن نفسه علىٰ الصبر، مثلما يُوَطِّن أصحاب التجارة والمرابحات وطلب المكاسب أنفسهم علىٰ الأذىٰ الذي يحصل لهم في سبيل ما يؤمِّلونه ويرجونه من أربَاحِهِم، والمؤمن أولىٰ بذلك وأحرىٰ.

❁ ❁ ❁

قال شيخُ الإسلام ابن تيميَّة -رحمه الله تعالىٰ-:

(* العاشر: أن يَشهدَ معيَّة الله معه إذا صَبَر، ومحبَّةَ الله له إذا صَبَر، ورِضاه، ومن كان الله معه دَفَع عنه أنواعَ الأذىٰ والمضرَّات ما لا يَدفعُه عنه أحدٌ من خلقِه.

قال تعالىٰ: ﴿وَٱصْبِرُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [الأنفال:٤٦].

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤٦]).

التعليق

أي فينظر في هذا الثواب، وفي هذه المعية وهذه المحبة -محبة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- للصابرين؛ فيشغله هذا النظر عن طلب الانتقام؛ فيصبر علىٰ أذىٰ المخلوقين، ليكون ممَّن يُحِبُّهم الله عَزَّوَجَلَّ ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾، وليحظىٰ بمَعِيَّة الله له ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾. وهي معية خَاصة فيها النصر، والحفظ، والتوفيق، والتسديد، والمَعُونة، والخير، والبَرَكة؛ فيُوَطن نفسَه علىٰ الصَّبر حتىٰ يفوز بهذه المَعية، ويفوز بهذه المَحبَّة.

قال شيخُ الإسلام ابن تيميَّة -رحمه الله تعالىٰ-:

(* الحادي عشر: أن يَشهد أن الصبرَ نِصفُ الإيمان، فلا يبذل من إيمَانِهِ جزءًا في نُصرةِ نفسِه، فإذا صَبَر فقد أَحرزَ إيمانَه وصانَه من النقص، والله يدفع عن الذين آمنوا).

التعليق

هذا أيضًا من الأمُور التي تُعينُ علىٰ الصَّبر: أن الصبر نصف الإيمان؛ لأن الإيمان نصفان: صبر، وشكر، كما قال -عليه الصلاة والسلام-: «عَجَبًا لِأَمرِ المُؤمِنِ، إِنَّ أَمرَهُ كُلَّهُ خَيرٌ، وَلَيسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلمُؤمِنِ؛ إِن أَصَابَتهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيرًا لَهُ، وَإِن أَصَابَتهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيرًا لَهُ»[1]، فالإيمان: صبر، وشكر.

وذُكر هذان المقامان في آيات كثيرة: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٩٩) من حديث صهيب الرومي رضي الله عنه.

﴿لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ﴾ وردت في أربع مواضع من القرآن، فالدين والإيمان نصفان: نصفٌ صبر، ونصفٌ شكر.

فيقول من أوذي: لا أنتقم، بل أصبر حتىٰ أحافظ علىٰ هذا المقام العظيم والمنزلة العلية من الدين التي هي الصبر؛ فلا أبذل منها ولا جزءًا يسيرًا ولا قدرًا قليلًا حتىٰ لا أفوِّت شيئًا من حظِّي ونصيبي من هذه المنزلة التي هي نصف الإيمان.

❊ ❊ ❊

قال شيخُ الإسلام ابن تيميَّة -رحمه الله تعالىٰ-:

(* الثاني عشر: أن يشهد أنَّ صبرَه حكمٌ منه علىٰ نفسِه، وقَهرٌ لها، وغَلَبةٌ لها، فمتَىٰ كانتِ النفسُ مقهورةً معَه مغلوبةً لم تطمع في استرقاقِه وأَسرِه وإلقائِه في المَهَالك، ومتىٰ كان مُطيعًا لها سَامعًا منها مَقهُورًا معها لم تزَل به حتَّىٰ تُهلِكَه، أو تتداركَه رحمةٌ من ربِّه، فلو لم يكن في الصبر إلَّا قَهرُه لنفسِه ولشيطانِه؛ فحينئذٍ يَظهرُ سلطانُ القلبِ وتَثبُتُ جنودُه ويَفرَحُ ويَقوَىٰ ويَطرُد العدوَّ عنه).

التعليق

هذا أيضًا من الأمور المعينة علىٰ الصبر علىٰ أذىٰ الخَلق؛ أنك إن صبرت علىٰ أذاهم كان صَبرُك علىٰ أذاهم انتصارًا منك علىٰ نفسك، وكانت لك سُلطة التصرف، بخلاف المُنتقم فإنه مُنسَاق وراء ما تَطلُبُه نفسه وتدعُوهُ إليه ، من طَلَب التشَفي والانتقام وغير ذلك.

قال شيخُ الإسلام ابن تيميَّة -رحمه الله تعالىٰ-:

(* الثالث عشر: أن يعلم أنه إن صبرَ فاللهُ ناصرُه ولابُدَّ، فاللهُ وكيلُ من صَبر، وأحالَ ظالمَه علىٰ الله، ومن انتصَر لنفسِه وكلَهُ اللهُ إلىٰ نفسِه فكان هو الناصر لها.

فأينَ مَن ناصرُه اللهُ خيرُ الناصرين إلىٰ مَن ناصِرُه نفسُه أعجز النَّاصرين وأضعفُه؟!).

التعليق

أي أن يَكِل العبدُ أمرَهُ إلىٰ الله، ويطلب نصرَه وحقه وأموره من الله، ويُفَوض أمره إلىٰ الله ﷻ؛ فتكون هذه حاله؛ يصبر وينتظر عاقبَةَ صبره نصرًا من الله وتأييدًا وتوفيقًا.

وفي الحَديث: «وَأَنَّ النَّصرَ مَعَ الصَّبرِ»(١).

(١) أخرجه أحمد (٢٨٠٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢٣٨٢).

قال شيخُ الإسلام ابن تيميَّة -رحمه الله تعالىٰ-:

(* الرابع عشر: أن صَبرَه علىٰ من آذاه واحتمالَه له يُوجِبُ رجوعَ خَصمِه عن ظُلْمِه ونَدامتَه، واعتذارَه، ولومَ الناسِ له، فيعودُ بعد إيذائِه له مستحييًا منه نادمًا علىٰ ما فعلَه، بل يَصيرُ مواليًا له.

وهذا معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت:٣٤-٣٥]).

التعليق

وهذا الذي ذكَرَه رَحِمَهُ ٱللَّهُ أمرٌ يجده كثير من الناس ممن يحتملون أذىٰ الخلق ويقَابلُون أذاهم بالاحتمال، لأنه إذا آذاك شخص فاحتملته، ثم آذاك فاحتمَلته، ثم آذاك فاحتملته وتلطفتَ معه ودفعته بالحُسنىٰ فإنَّه في آخر المَطَاف سيستحي

منك ويعتذر إليك، وتكون معَاملته لك أطيب المعاملة، وتكون بهذا قد أعنتَهُ علىٰ نفسه، فتَرتَاح أنت في نفسك، وتسهم في إصلاح أخلاق الآخرين.

❊ ❊ ❊

قال شيخُ الإسلام ابن تيميَّة -رحمه الله تعالىٰ-:

(* الخامس عشر: ربما كان انتقامُه ومقابلتُه سببًا لزيادة شرِّ خصمِه وقوَّةِ نفسِه وفكرته في أنواع الأذىٰ التي يُوصِلُها إليه كما هو المشاهَد، فإذا صبر وعفا أَمِنَ من هذا الضرر، والعاقلُ لا يختارُ أعظمَ الضررين بدَفعِ أدناهما، وكم قد جلبَ الانتقامُ والمقابلةُ من شرٍّ عَجَزَ صاحبُه عن دفعِه، وكم قد ذهبت نفوس ورِئاسَات وأموال لَو عفا المظلومُ لبقيت عليه).

التعليق

أي أنَّ المنتقم ممن آذاه ربما يزيد من شرِّه، ويتضاعف، وربما يأتيه منه شرٌّ لا قِبل له به، فيكون في صبره علىٰ أذاه دفع لأذىٰ أعظم؛ إذ قد ينتقم المرءُ ممن آذاه فيتسَلَّط المؤذي بشرٍّ أعظم وأمور لا قِبل له بها؛ فيكون في دفعه بالحسنىٰ سلامة له من أذىٰ أَشَد.

قال شيخُ الإسلام ابن تيميَّة -رحمه الله تعالىٰ-:

(* السادس عشر: أنَّ من اعتادَ الانتقام ولم يَصبِر لابُدَّ أن يقعَ في الظلم، فإنَّ النفس لا تَقتصِرُ علىٰ قدرِ العَدل الواجب لها لا علمًا ولا إرادةً، وربما عجزت عن الاقتصار علىٰ قدرِ الحقِّ، فإنَّ الغضبَ يَخرُجُ بصاحبه إلىٰ حدٍّ لا يَعقِلُ ما يقول ويفعل، فبينما هو مظلوم يَنتظِرُ النَّصرَ وَالعِز إذ انقلبَ ظالمًا يَنتظِرُ المقتَ والعقوبةَ).

التعليق

أي أن الصبر أسلمُ لك وأبرأ لذِمَّتك؛ لأنك إن عملتَ علىٰ الانتقام والمُعَاقبَة بالمثل كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦ﴾ [النحل:١٢٦] ربما زدتَ ولو بشيء قليل عن المثل فتكون بذلك قد عرَّضت نَفسَك للإثم والظلم، والله ﷻ لا يُحب الظالمين.

ومَن هذا الذي يستطيع أن يَـزنَ المعاقبة وزنًا دقيقًا بحيث لا يتجاوز في عقوبته المثل ؟!

فيكون الصبرُ أسلم وأبرأ لذمته، إضافةً إلىٰ ما في الصبر من الفَضَائل العظيمَة التي تقدمت.

❊ ❊ ❊

قال شيخُ الإسلام ابن تيميَّة -رحمه الله تعالىٰ-:

(* السابع عشر: أنَّ هذه المَظلَمةَ التي ظُلِمَها هي سبب إمَّا لتكفيرِ سيئتِهِ أو رَفعِ درجتِهِ، فإذا انتقمَ ولم يَصبِرِ لم تكن مُكفِّرةً لسيئتِهِ ولا رَافعَةً لدَرجتِهِ).

التعليق

أي أن هذا الصَّبر مُوجبٌ لتكفير السيئات ورفعَة الدرجَات، فإذا انتقم فوَّت علىٰ نفسه هذا الباب العظيم لتكفير السيئات ورفعة الدرجات.

* * *

قال شيخُ الإسلام ابن تيميَّة -رحمه الله تعالىٰ-:

(* الثامن عشر: أنَّ عفوَه وصبرَه من أكبر الجُندِ له علىٰ خَصمِه؛ فإنَّ من صَبَر وعفا كان صبرُه وعفوه مُوجِبًا لذُلِّ عدوِّه وخوفِه وخَشيتِه منه ومن الناس، فإنَّ الناس لا يسكتون عن خصمِه وإن سَكتَ هو، فإذا انتقمَ زالَ ذلك كلُّه.

ولهذا تَجِدُ كثيرًا من الناس إذا شَتَم غيرَه أو آذاه يُحِبُّ أن يَستوفِيَ منه، فإذا قابله استراحَ وألقَىٰ عنه ثِقلًا كان يجده).

التعليق

أي: أنك إن عفوتَ وصَبرتَ كان عفوك وصبرك جندًا لك علىٰ خصمك؛ فإنَّ من صبر وعفا كان صبرُهُ وعفوه مُوجِبًا لذلِّ عدوه وخوفه وخَشيَته من الناس؛ فإن الناس لا يسكُتُون عنه، ويُصبح الناس في مقامه دفاعًا عنه ومُنَافحة وذبًّا وانتصارًا له بدون أن يطلب منهم؛ وإنما نال ذلك بصَبره

واحتمَاله وعفوه، فهو يورث من آذاك ذلًّا، ويُكسبك من الناس أعوانًا وأنصارًا وجندًا يُهيئهم الله ﷻ لك دفَاعًا عنك وصَدًّا لأذىٰ من آذاك.

❊ ❊ ❊

قال شيخُ الإسلام ابن تيميَّة -رحمه الله تعالىٰ-:

(* التاسع عشر: أنه إذا عفا عن خَصمِه استشعَرَت نفسُ خصمِه أنه فوقَه وأنه قد رَبِحَ عليه، فلا يزال يرىٰ نفسَه دونَه، وكفىٰ بهذا فضلًا وشرفًا للعفو).

التعليق

كفىٰ فضلًا وشرفًا للعفو أن العَافي عن الناس في أذاهم له تستشعر نفسه أنه فوق خصمه وأعلىٰ منه؛ لأن هذا في الحقيقة عزٌّ ورفعة كما تقدم معنا في حَديثِ النبيﷺ: «**مَا زَادَ اللهُ عَبدًا بِعَفوٍ إِلَّا عِزًّا**»[1]، فهذا أنفعُ للعبد وأعظم في مَكَانته ومَقَامه من أن ينتقم ممن آذَاه.

* * *

(١) تقدم تخريجه (ص١٩).

قال شيخُ الإسلام ابن تيميَّة -رحمه الله تعالىٰ-:

(* العشرون: أنه إذا عفا وصَفَحَ كانت هذه حسنةً، فتُوَلِّدُ له حسنةً أخرىٰ، وتلك الأخرىٰ تُولِّدُ له أخرىٰ، وهَلُمَّ جَرًّا، فلا تزال حسناتُه في مزيد، فإنَّ من ثواب الحسنةِ الحسنة، كما أنَّ من عقاب السيئةِ السيئة بعدها.

وربَّما كان هذا سببًا لنجاتِه وسعادتِه الأبدية، فإذَا انتقم وانتصرَ زال ذلك).

التعليق

أي أن العفوَ والصفح حَسَنةٌ من حسنات العبد، ومن ثواب الحَسنة: الحسنة بعدها، وإذا وُجِدَت الحسنةُ نَادَت أختَها؛ فتكاثرت الحسنات وتزايدت للعَبد، بينما إذا انتقم لنفسه فوَّت علىٰ نفسه هذه الحسنات المتزايدة، والخيرات المُتَوالية.

الحَاصِلُ: أن هذه وجوهٌ عظيمة وأمور نافعة ذكرها الإمام الهُمَام شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالىٰ- تُعين العبد

علىٰ الصبر علىٰ أذىٰ الخَلق، وذكر من المَعَاني العظيمة واللفتات الكريمة التي يجدُر بكل مسلم أن يتأملها وأن يُفيد منها؛ لتكون عونًا له بإذن الله -تبارك وتعالىٰ- علىٰ هذا الصبر، وتحقيق هذا المقام العظيم.

فجزىٰ الله هذا الإمام خير الجزاء علىٰ هذا النصح وهذا البيان، ونسأل الله الكريم أن ينفعنا أجمعين بما علَّمنا، وأن يزيدنا علمًا، وأن يصلح لنا شأننا كله، وألا يكلنا إلىٰ أنفسنا طَرفَة عين.

وأوصي في الختَام بوصيتين:

* **الأولىٰ:** تَخُص كل واحد منا في خاصة نفسه:

أن يعيد النظر في هذه الأمور العشرين التي ذكرها -رحمه الله تعالىٰ-، وأن يتأملها بأناة وحسن تفهم لها؛ حتىٰ تتمكن من نفسه وتتعمق في قلبه؛ لتكون معينة له بإذن الله -تبارك وتعالىٰ- علىٰ هذا الصبر، وليستحضرها في المقامات التي

يحصل له فيها أذىٰ الخلق لتتحقق هذه المعاني الجميلة التي ذكرها -رحمه الله تعالىٰ-، والفائدة المَرجُوة التامة بإذن الله ﷻ.

* **الثانية:** أن نحرص علىٰ نشر هذه الفوائد العظيمة، ووَسَائل النشر قد تنوعت، من الوسائل الإلكترونية، والورقية؛ فإنَّ الدَّالَّ علىٰ الخَير كفَاعله، كما قال نَبينا الكريم ﷺ[1]، ولنسهم من الحد من تزايد الشرور والعدوان بين المسلمين، وبالله وحده التوفيق.

وأختم بدعوات كثيرًا ما كان يختم بها-رحمه الله تعالىٰ- أسأل الله العظيم أن يهدينا وسائر إخواننا صراطه المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا، وحسبنا الله ونعم الوكيل، والحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٩٣) من حديث أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه.

فهرس الموضوعات